ذلك شيئاً ، ون الله واحد ، لااله إلا هو ، فرد صمد ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، وأن الساعة آتية لاريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله مستو على عرشه ، كما قال: (الرحمن على العرش استوى) طـــه : ٥ وأن له وجهاً كما قال: (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) الرحمن : ٢٧ وأن له يدين بلا كيف ، كما قال : (خلقت بيدي) ص : ٧٥ وكما قال : (بل يداه مبسوطتان) المائدة : ٦٤ وأن له عينين بلا كيف، كما قال : (تجري بأعيننا) القمر : ١٤ ومن زعم أن أسماء الله غيره ، كان ضالاً ، وذكر نحواً مما ذكر في الفرق . . إلى أن قال : ونقول : إن الاسلام أوسع من الايمان ، وليس كل اسلام إيماناً ، وندين بأن الله يقلب القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل ، يضع السموات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، كما جاءت الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم ... الخ أن قال : وأن الايمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، ونسلم للروات الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم التي رواها الثقات ، عدلاً عن عدل ، حتى ينتهي الى الرسول صلى الله عليه وسلم . . الى أن قال : ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول الى السماء الدنيا ، وأن الرب عز وجل يقول : هل من سائل ؟ هل من مستغفر ؟ وسائر مانقلوه وأثبتوه ، خلافاً لما قال أهل الزيغ والتضليل . ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا ، وسنة نبينا ، واجماع المسلمين ، وما كان في معناه ، ولا نبتدع في دين الله مالم يأذن لنا به ، ولا نقول على الله مالا نعلم ، ونقول : إن الله يجيء يوم القيامة ، كما قال : (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر : ٢٢ وأن الله يقرب من

عباده كيف شاء ، كما قال :(ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) ق :١٦ وكما قال : (ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى) النجم : ٨ ، ٩ إلى أن قال : وسنحتج لما ذكرناه من قولنا ، وما بقي مما لم نذكره باباً باباً ، ثم نتكلم على أن الله يرى ، واستدل على ذلك ، ثم تكلم على أن القرآن غير مخلوق ، واستدل على ذلك ، ثم تكلم على من وقف في القرآن ، وقال : لاأقول : إنه مخلوق ، ولا غير مخلوق ، ورد عليه ، ثم قال : باب ذكر الاستواء على العرش ، فقال : إن قال قائل : ماتقولون في الاستواء؟ قلنا له : نقول : إن الله مستو على عرشه . كما قال: (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وقد قال الله (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فاطر : ١٠ وقال : (بل رفعه الله اليه) النساء : ١٥٨ وقال : (يدبر الأمر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه) السجدة : ٥ وقال حكاية عن فرعون (ياهامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب. أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وإني لأظنه كاذباً) غافر : ٣٦ ، ٣٧ كذب موسى في قوله : إن الله فوق السموات ، وقال : (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) الملك : ١٦ فالسموات فوقها العرش ، فلما كان العرش فوق السموات قال : (أأمنتم من في السماء) لأنه مستو على عرشه الذي هو فوق السموات ، وكل ما علا فهو سماء ، فالعرش أعلى السموات ، وليس إذا قال : (أأمنتم من في السماء) يعني جميع السماء ، وانما أراد العرش الذي هو أعلى السموات. ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السموات فقال :(وجعل القمر فيهن نوراً) نوح : ١٦ فلم يرد أن القمر يملأهن ، وأنه فيهن جميعاً ، ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء ، لأن الله على العرش

الذي فوق السموات ، فلولا أن الله على العرش ، لم يرفعوا أيديهم نحو العرش ، كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض ، ثم ذكر رحمه الله فصلاً رد فيه على من تأول الاستواء بالاستيلاء من الجهمية ، والمعتزلة أبلغ رد ، واستدل على ذلك بأدلة من الكتاب ، والسنة ، والاجماع والعقل . وقد تقدم ذلك ، وهذا الذي ذكرناه من كلام أبي الحسن الأشعري ، هو مضمون ماذكره الناظم عنه .

قلت : ومن العجب أن المنتمين إلى الامام أبي الحسن الاشعري ، مع شدة تعظيمهم له ، قد خالفوه في أكثر ماذهب اليه وخالف فيه المعتزلة ، فانه في بدايته وأول أمره كان معتزلياً ، ودرس الكلام على أبي علي الجبائي أربعين سنة ، ثم لما بين الله له الحق رجع عن الاعتزال ، ونابذ المعتزلة ، ورد عليهم أبلغ الرد ، وصار متكلماً للسنة ، بل هو كما قيل فيه : إنه حجز المعتزلة في قمع السمسمة ، ثم قد خالفوه في أكثر مارجع عنه ، ورجعوا إلى مذهب المعتزله ، فتأولوا الاستواء بالاستيلاء ، واليد بالنعمة أو القدرة ، والنزول بنزول الأمر والملائكة ، والمجيء بمجيء الأمر والملائكة ، والرضى بالاثابة ، والغضب بالانتقام ، والرحمة بالانعام ، أو ارادة الانعام ، بل لعلهم زادوا على المعتزلة في التأويلات الباطلة ، والتمحلات العاطلة ، فنعوذ بالله من موجبات غضبه .

وقول الناظم : هذا وخالفناه في القرآن الخ . أي : خالفناه في قوله : إن كلام الله تعالى هو المعنى النفسي ، وإن القرآن عبارة عن ذلك المعنى ، كما خالفتموه في الاستواء ، والعلو ، واثبات الصفات الخبرية ، فلم كان خلافناله كفراً ، وخلافكم له إيماناً ؟ ! وخالفتم النصوص أيضاً ، ونحن خالفنا آراء جهم ذي البهتان .

ثم أقسم الناظم : والله مالكم جواب غير تكفير الخ أي : ليس لكم جواب غير تكفيرنا بلا علم . ثم قال متهكما : أستغفر الله العظيم الخ . أي : لكم جواب آخر وهو الشكوى إلى السلطان بغير علم ولا برهان .

قولـــه ، والله لا للأشعري تبعتم الخ . أي انهم لم يتبعوا الأشعري ، ولا النصوص ، ولكنهم وافقوا المعتزلة في أكثر ماذهبوا اليه . كما تقدم ذلك ، والله تعالى أعلم .

قال الناظم :

لكنه قد قال إن كلامه معنى يقوم بربنا الرحمن
في القول خالفناه نحن وأنتم في الفوق والأوصاف للديان
لو كان نفس خلافنا كفراً وكا نخلافكم هو مقتضى الايمان
هذا وخالفتم لنص حين خا لفنا لرأي الجهم ذي البهتان
والله مالكم جواب غير تكـــفير بلا علم ولا ايقان
أستغفر الله العظيم لكم جوا ب غير ذي الشكوى إلى السلطان
فهو الجواب لديكم ولنحن منـــتظرون منكم يا أولي البرهان
والله لا للأشعـــري تبعتم كلا ولا للنص بالاحسان
ياقوم فانتبهوا لأنفسكم وخـــلوا الجهل والدعوى بلا برهان
مافي الرياسة بالجهالة غير ضحكة عاقل منكم مدى الأزمان
لاترتضوا برياسة البقر التي رؤساؤها من جملة الثيران

لما ذكر الناظم رحمه الله أن النفاة لم ينقموا علينا ولله الحمد أنا خالفنا

النصوص ، وانما نقموا علينا مخالفة الأشعري ، أخذ يبين كذب هذه الدعوى ، ويوضح أنهم خالفوه أعظم المخالفة ، فانه رحمه الله قد صرح باثبات الاستواء والعلو ، واثبات اليدين ، والوجه ، والعينين ، والنزول الى سماء الدنيا ، والأصابع ، وصرح باثبات رؤية الله تعالى بالابصار يوم القيامة ، وصرح باثبات المجيء ، وصرح بفساد قول أهل التأويل للاستواء بالقهر ، وصرح باثبات الصفات الخبرية ، وصرح بأنه يقول بجميع ماقاله أهل الحديث ، كما تقدم نقل ذلك عنه ، ولكن نحن قد خالفناه في قوله بالكلام النفسي وأنتم معاشر النفاة خالفتموه في الفوق ، واثبات الصفات ، فلأي شيء كان خلافنا له كفراً ، وخلافكم له إيماناً ؟! ومع خلافكم له ، فقد خالفتم النصوص القطعية ، ونحن خالفناه في ذلك لأنه خلاف المنقول الصحيح ، والمعقول الصريح . ثم أقسم الناظم : أنه لاجواب لهم إلا التكفير بغير علم ولا حجة ، ثم استثنى أن لهم جواباً آخر ، وهو شكاية مخالفيهم الى السلطان اذا غلبهم بالحجة والبرهان ، ومع هذا قد خالفوا النصوص وخالفوا الاشعري ، فحاصل كلامهم كثرة الدعاوى بلا برهان ، وتكفير أهل العلم والايمان ، نعوذ بالله من الخذلان .

فصل

في أن أهل الحديث هم أنصار رسول الله ﷺ وخاصته ولا يبغض الانصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر

يامبغضاً أهل الحديث وشاتماً أبشر بعقد ولاية الشيطان
أو ما علمت بأنهم أنصار دي ـــن الله والايمان والقرآن ؟!
أو ماعلمت بأن أنصار الرسو ل هم بلاشك ولا نكران؟!
هل يبغض الأنصار عبدمؤمن أو مدرك لروائح الايمان ؟!
شهد الرسول بذاك وهي شهادة من أصدق الثقلين بالبرهان
أو ما علمت بأن خزرج دينه والأوس هم أبداً بكل زمان؟!
ماذنبهم إذ خالفوك لقوله ماخالفوه لأجل قول فلان
لو وافقوك وخالفوه كنت تشـــهد أنهم حقاً أولو الايمان
لما تحيزتم الى الأشياخ وانـــحازوا إلى المبعوث بالقرآن
نسبوا اليه دون كل مقالة أو حالة أو قائل ومكان
هذا انتساب أولي التفرق نسبة من أربع معلومة التبيان

قوله نسبة من أربع الخ. وهي النسب المعروفة وهي المماثلة والموافقة

فلذا غضبتم حيثما انتسبوا إلى غير الرسول بنسبة الاحسان
فوضعتم لهم من الألقاب ما تستقبحون وذا من العدوان

تقدمت الألقاب التي وضعوها لأهل الحديث ومعانيها .

هم يشهدونكم على بطلانها أفتشهدونهم على البطلان ؟!
ماضرهم والله بغضكم لهم إذ وافقوا حقاً رضى الرحمن
يا من يعاديهم لأجل مآكل ومناصب ورياسة الاخوان
تهنيك هاتيك العداوة كم بها من حسرة ومذلة وهوان
ولسوف تجني غبها والله عن قرب وتذكر صدق ذي الايمان
فاذا تقطعت الوسائل وانتهت تلك المآكل في سريع زمان
فهناك تقرع سن ندمان على الـ ـتفريط وقت السير والامكان
وهناك تعلم مابضاعتك التي حصلتها في سالف الأزمان
إلا الوبال عليك والحسرات والـ ـخسران عند الوضع في الميزان
قيل وقال ماله من حاصل الا العناء وكل ذي الأذهان

---

(١) وعلى هامش الأصل : الظاهر ان النسب الاربع هي ماأشار اليه الناظم بقوله: نسبو اليه ، يعني إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، دون الانتساب الى مذهب أو غيره من الأربع المذكورات في البيت والله أعلم . قال ذلك شيخنا عبد الله بن عبد العزيز العنقري عفا الله عنه .

والله مايجدي عليك هناك إلاّ ذا الذي جاءت به الوحيان
والله ماينجيك من سجن الجحـــيم سوى الحديث ومحكم القرآن
والله ليس الناس إلا أهله وسواهم من جملة الحـــيوان
ولسوف تذكر بر ذي الايمان عن قرب وتقرع ناجذ الندمان
رفعوا به رأساً ولم يرفع به أهل الكلام ومنطق اليونان
فهم كما قال الرسول ممثلاً بالماء مهبطه على القيعان
لاالماء يمسكه ولا كلأ بها يرعاه ذو كبد من الحيوان

يشير الى الحديث الذي في الصحيح من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال : « مثل مابعثني الله به من الهدى والعلم ، كمثل غيث أصاب أرضاً ، فكان منها طائفة قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها طائفة أجادب أمسكت الماء ، فسقى الناس وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لاتمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » .

هذا إذا لم تحرق الزرع الذي بجوارها بالنار أو بدخان
والجاهلون بذا وهذا هم زوا ن الزرع أي والله شرزواني
وهم لدا غرس الاله كمثل غر س الدلب بين مغارس الرمان

قوله : زوان . قال في « القاموس » الزوان : الذي يخالط البر .
قوله : الدلب . قال في « القاموس » : الدلب بالضم : الصغار ،

واحدته بهاء ، وأرض مدلبة : كثيرته . وفي « مختار الصحاح » : الدلب : شجر ، الواحدة دلبة .

يمتص ماء الزرع مع تضييقه أبداً عليه وليس ذا قنوان
ذا حالهم مع حال أهل العلم أنـ ـصار الرسول فوارس الايمان
فعليه من قبل الاله تحية والله يبقيه مدى الأزمان
لولاه ماسقي الغراس فوق ذا ك الماء للدلب العظيم الشان
فالغرس دلب كله وهو الذي يسقى ويحفظ عند أهل زمان
فالغرس في تلك الحضارة شارب فضل المياه مساوة البستان
لكنما البلوى من الحطاب قـ ـطّاع الغراس وعاقر الحيطان
بالفوس يضرب في أصول الغرس كي يجتثها ويظن ذا إحسان
ويظل يحلف كاذباً لم أعتمد في ذا سوى التثبيت للعيدان
ياخيبة البستان من حطّابه ما بعد ذا الحطاب من بستان
في قلبه غل على البستان فهـ ـو موكل بالقطع كل أوان
فالجاهلون شرار أهل الحق والـ ـعلماء سادتهم أولو الاحسان
والجاهلون خيار أحزاب الضلا ل وشيعة الكفران والشيطان
وشرارهم علماؤهم هم شر خلـ ـق الله آفة هذه الأكوان

يشير الى الحديث الذي ورد « علماؤهم شر من تحت أديم السماء ، منهم خرجت الفتنة ، وفيهم تعود »

فصل

في تعيين الهجرة من الآراء والبدع الى سنته كما كانت فرضاً من الامصار الى بلدته عليه السلام

ياقوم فرض الهجرتين بحاله والله لم ينسخ إلى ذا الآن
والهجرة الأولى الى الرحمن بالـــإخلاص في سر وفي إعلان
حتى يكون القصد وجه الله بالـــأقوال والأعمال والإيمان
ويكون كل الدين للرحمن ما لسواه شيىء فيه من انسان
والحب والبغض اللذان هما لكـــل ولاية وعداوة أصلان
لله أيضاً هكذا الاعطاء والمـــنع اللذان عليهما يقفان
والله هذا شطر دين الله والـــتحكيم للمختار شطر ثان
وكلاهما الإحسان لن يتقبل الـــرحمن من سعي بلا إحسان
والهجرة الأخرى الى المبعوث بالـــإسلام والايمان والاحسان

ذكر الناظم رحمه الله في هذه الأبيات أن فرض الهجرتين باق لم ينسخ، فالهجرة الاولى الى الله تعالى، وذلك بالاخلاص له في السر والعلن، وأن يكون القصد وجهة الله بالاقوال والأعمال والايمان، وأن يكون الدين كله لله، وأن يكون الحب والبغض لله تعالى، وكذلك الإعطاء والمنع، وهذا شطر الدين، وشطره الثاني تحكيم المختار ﷺ، كما قال الناظم: والهجرة

الثانية هي الهجرة الى الرسول ﷺ ، باتباعه في الدق والجل ، ورد ما تنازع الناس فيه إلى سنته ، ورد كل قول لقوله .

أترون هذي هجرة الابدان لا ... والله بل هي هجرة الايمان

قطع المسافة بالقلوب اليه في ... درك الأصول مع الفروع فذان

ابداً إليه حكمها لا غيره ... فالحكم ما حكمت به النصان

ياهجرة طالت مسافتها على ... من خص بالحرمان والخذلان

ياهجرة طالت مسافتها على ... كسلان منخوب الفؤاد جبان

قال في « القاموس » : رجل نخب ، ونخب ، ونخبة ، ونخب ، كهجف ، ومنتخب ، ومنخوب ، ونخب ، ونخيب : جبان ، جمع نخب . انتهى .

ياهجرة والعبد فوق فراشه ... سبق السعادة لمنزل الرضوان

ساروا أحث السير وهو فسيره ... سير الدلال وليس بالذملان

قوله : الدلال . قال في « القاموس » : أدل عليه : انبسط ، كتدلل .

قولـــه : الذملان محركة : هو السير اللين .

قال في « القاموس » العلم محركة : الجبل الطويل ، أو عام ، جمع أعلام ، وعلام . انتهى . وقاع ، وأرض وقيعة ، لا تكاد تنشف الماء ، قاله في « القاموس » .

رفعت له أعلام هاتيك النصو ... ص رؤوسها شابت من النيران

نار هي النور المبين ولم يكن ... ليراه إلا من له عينان

مكحولتان بمرود الوحيين لا بمراود الآراء والهذيان
فلذاك شمر نحوها لم يلتفت لا عن شمائله ولا أيمان
ياقوم لو هاجرتم لرأيتم أعلام طيبة رؤية بعيان
ورأيتم ذاك اللواء وتحته الـــرسل الكرام وعسكر القرآن
أصحاب بدر والألى قد بايعوا أزكى البرية بيعة الرضوان
وكذا المهاجرة الألى سبقوا كذا الـــأنصار أهل الدار والايمان
والتابعون لهم باحسان وسا لك هديهم أبداً بكل زمان
لكن رضيتم بالاماني وابتليـــتم بالحظوظ ونصرة الاخوان
بل غركم ذاك الغرور وسولت لكم النفوس وساوس الشيطان
ونبذتم عسل النصوص وراءكم وقنعتم بقطارة الأذهان

قال في « القاموس » القطارة بالضم: ماقطر من الشيء ، والقليل من الماء

وتركتم الوحيين زهداً فيهما ورغبتم في رأي كل فلان
وعزلتم النصين عما وليا للحكم فيه عزل ذي عدوان
وزعمتم ان ليس يحكم بيننا الا العقول ومنطق اليونان
فهما بحكم الحق أولى منهما سبحانك اللهم ذا السبحان
حتى اذا انكشف الغطاء وحصلت أعمال هذا الخلق في الميزان
واذا انجلى هذا الغبار وصار ميـــدان السباق تناله العينان

وبدت على تلك الوجوه سماتها وسم المليك القادر الديان

مبيضة مثل الرياض بجنة والسود مثل الفحم للنيران

معنى هذه الأبيات أنكم معاشر النفاة لما تركتم الوحيين ، وهما الكتاب والسنة ، وعزلتم النصين ، وزعمتم أن ليس يحكم بين الناس فيما تنازعوا فيه إلا العقول والمنطق ، فاذا انكشف الغطاء ، وذلك يوم القيامة ، وحصلت أعمال الناس ، وانجلى الغبار ، وصار ميدان السباق ، وبدت على الوجوه سماتها ، أي علاماتها ، وصارت وجوه مبيضة في الجنة ، ووجوه مسودة في النار ؛ عرفتم حاصلكم ومحصولكم ، ورأيتم ماأوجبته لكم أصولكم .

فهناك يعلم راكب ما تحته وهناك يقرع ناجذ الندمان

وهناك تعلم كل نفس ما الذي معها من الارباح والخسران

وهناك يعلم مؤثر الآراء والـــشطحات والهذيان والبطلان

أي البضائع قد أضاع وما الذي منها تعوض في الزمان الفاني

قولـــه : فهناك يعلم راكب الخ أي : إذا انجلى الغبار ، عرف راكب ماتحته ، أفرس أم حمار ! وهناك يقرع الندمان ناجذ الندم وهناك تعلم نفس ماالذي معها من الربح والخسران ، وهناك يعلم مؤثر شطحات الصوفية وآراء المتكلمين وهذيانهم وأباطيلهم على الكتاب والسنة أنه فاته أعظم بضاعة ، وأنه تعوض أخسر بضاعة ، وأخس نصيب ، وأنه فاته أعظم الربح ، نعوذ بالله من موجبات غضبه .

سبحان رب الخلق قاسم فضله والعدل بين الناس في الميزان

لو شاء كان الناس شيئاً واحداً مافيهم من ثائه حيران

لكنه سبحانه يختص بالـ ـفضل العظيم خلاصة الانسان
وسواهمُ لايصلحون لصالح كالشوك فهو عمارة النيران
وعمارة الجنات هم أهل الهدى الله أكبر ليس يستويان
فسل الهداية من أزمّة أمرنا بيديه مسألة الذليل العاني

قولـــه : لو شاء كان الناس شيئاً واحداً الخ . هذا كما قال تعالى : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ...) هود : ١١٨ الآية ، ولكنه سبحانه يهدي من يشاء بفضله ، ويضلّ من يشاء بعدله ، كما قال تعالى : (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم) يونس : ٢٥ فعم بالدعوة ، وخص بالهداية

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعي لديه ضائع
إن عذبوا فبعدل له أو نعموا فبفضله وهو الكريم الواسع

قال الناظم :

وسل العياذ من اثنتين هما اللتا ن بهلك هذا الخلق كافلتان
شر النفوس وسيىء الأعمال ما والله أعظم منهما شران
ولقد أتى هذا التعوذ منهما في خطبة المبعوث بالقرآن

يشير الى خطبة الحاجة : وهي ماروى ابن مسعود قال : علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة « الحمد لله نستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ان لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ... »

الحديث رواه أهل السنن الأربعة . وقال الترمذي ، حديث حسن .

لو كان يدري العبد أن مصابه ... في هذه الدنيا هو الشران
جعل التعوذ منهم ديدانه ... حتى نراه داخل الأكفان
وسل العياذ من التكبر والهوى ... فهما لكل الشر جامعتان
وهما يصدان الفتى عن كل طر ... ق الخير إذ في قلبه يلجان
فتراه يمنعه هواه تارة ... والكبر أخرى ثم يشتركان
والله مافي النار إلا تابع ... هذين فاسأل ساكني النيران
والله لو جردت نفسك منهما ... لأتت اليك وفود كل تهان

فصل

في ظهور الفرق المبين بين دعوة الرسل ودعوة المعطلين .

والفرق بين الدعوتين فظاهر ... جداً لمن كانت له أذنان
فرق مبين ظاهر لايختفي ... ايضاحه إلا على العميان
فالرسل جاؤونا باثبات العلـ ... ـو لربنا من فوق كل مكان
وكذا أتونا بالصفات لربنا الـ ... ـرحمن تفصيلاً بكل بيان
وكذاك قالوا إنه متكلم ... وكلامه المسموع بالآذان

وكذاك قالوا انه سبحانه الـــمرئي يوم لقائه بعيان
وكذاك قالوا إنه الفعال حـــقاً كل يوم ربنا في شان
وأتيتمونا أنتم بالنفي والتـــعيطل بل بشهادة الكفران
للمثبتين صفاته وعلوه ونداءه في عرف كل لسان
شهدوا بايمان المقر بأنه فوق السماء مباين الأكوان
وشهدتم أنتم بتكفير الذي قد قال ذلك ياأولي العدوان
وأتى بأين الله إقراراً ونطـــقاً قلتم هذا من البهتان
فسؤالنا بالاين مثل سؤالنا ما الكون عندكم هما شيئان ؟
وكذا أتونا بالبيان فقلتم باللغز أين اللغز من تبيان
إذ كان مدلول الكلام ووضعه لم يقصدوه بنطقهم بلسان
والقصد منهم غير مفهوم به ما اللغز عند الناس الا ذان
ياقوم رسل الله أعرف منكم وأتم نصحاً في كمال بيان
أترونهم قدألغزوا التوحيد إذ بينتموه ياأولي العرفان ؟
أترونهم قدأظهروا التشبيه وهـــو لديكم كعبادة الأوثان

مضمون ماذكره الناظم في هذه الأبيات ، هو اثبات الفرق بين دعوة المرسلين ، ودعوة المعطلين ، وذلك أن الرسل جاؤوا باثبات العلو والفوقية

واثبات الصفات تفصيلًا، وأنه سبحانه متكلم بكلام مسموع ، وأنه سبحانه يرى يوم القيامة رؤية العيان ، وأنه الفعال سبحانه ، وأنه كل يوم في شأن. وأما المعطلون فأتوا بالنفي والتعطيل ، بل شهدوا بالكفر لمثبتي علوه سبحانه فوق عباده بائناً عن المخلوقات ، أترونهم أيها المعطلة قد ألغزوا التوحيد وبينتموه أنتم ؟ أو أنهم أظهروا التشبيه بزعمكم والعياذ بالله

ولأي شيء لم يقولوا مثل ما قد قلتموا في ربنا الرحمن؟
ولأي شيء صرحوا بخلافه تصريح تفصيل بلا كتمان ؟
ولأي شيء بالغوا بالوصف بالـ اثبات دون النفي كل زمان
ولأي شيء أنتم بالغتم في النفي والتعطيل بالقفزان
فجعلتم نفي الصفات مفصلاً تفصيل نفي العيب والنقصان
وجعلتم الاثبات أمراً مجملاً عكس الذي قالوه بالبرهان

أي مابال الرسل أيها المعطلة لم يقولوا مثل ما قلتم في الله تعالى ؟ ! بل صرحوا دائماً بخلافه تصريحاً على التفصيل بغير كتمان ، وأما أنتم فبالغتم في النفي والتعطيل بالقفزان . القفيز : مكيال ثمانية مكاكيك ، ومن الأرض قدر مائة وأربعة وأربعين ذراعاً ، جمع أقفزة ، وقفزان، قاله في « القاموس » فجئتم بنفي مفصل ، واثبات مجمل . وأما الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فجاؤوا باثبات مفصل ، ونفي مجمل ، ولهذا قال :

أتراهم عجزوا عن التبيان واستوليتم أنتم على التبيان ؟
أترون أفراخ اليهود وأمة التعطيل والعباد للنيران

ووقاح أرباب الكلام الباطل الـــمذموم عند أئمة الايمان

من كل جهمي ومعتزل ومن والاهما من حزب جنكسخان

بالله أعلم من جميع الرسل والـــتوراة والانجيل والقرآن

أي أترى الرسل عليهم الصلاة والسلام عجزوا عن التبيان ، واستوليتم أيها المعطلة عليه ؟ أم هل ترون أفراخ اليهود ، والمعطلة ، وأبناء المجوس عباد النيران ، وأوقاح أهل الكلام وغيرهم من الجهمية والمعتزلة ومن والاهم من حزب جنكسخان أعلم بالله من جميع الرسل والتوراة والانجيل والقرآن؟!

ثم قال رحمه الله تعالى :

فسلوهم بسؤال كتبهم التي جاؤوا بها عن علم هذا الشان

وسلوهم هل ربكم في أرضه أو في السماء وفوق كل مكان؟

أم ليس من ذا كله شيء فلا هو داخل أو خارج الاكوان

فالعلم والتبيان والنصح الذي فيهم يبين الحق كل بيان

لكنما الألغاز والتلبيس والـــكتمان فعل معلم الشيطان

فصل

في شكوك أهل السنة والقرآن أهل التعطيل والآراء المخالفة لهما الى الرحمن

لما كان أهل التعطيل يشكون أهـــل الحديث والسنة الى السلاطين ،

ويرمونهم بالعظائم والبهت ، قابلهم أهل السنة بالشكاية الى الرحمن سبحانه .

يارب هم يشكوننا أبداً ببغـــــيهم وظلمهم إلى السلطان
ويلبسون عليه حتى أنه ليظنهم هم ناصروا الايمان
فيرونه البدع المضلة في قوا لب سنة نبوية وقران
ويرونه الاثبات للأوصاف في أمر شنيع ظاهر النكران
فيلبسون عليه تلبيسين لو كشفا له باداهم بطعان
يافرقة التلبيس لا حييتم أبداً وحييتم بكل هوان
لكننا نشكوهم وصنيعهم ابداً اليك فأنت ذو السلطان
فاسمع شكايتنا وأشك محقنا والمبطل اردده عن البطلان

أشك بقطع الهمزة .

راجع به سبل الهدى والطف به حتى تريه الحق ذا تبيان
وارحمه وارحم سعيه المسكين قد ضل الطريق وتاه في القيعان
يارب قد عم المصاب بهذه الـــ آراء والشحطات والبهتان
هجروا لها الوحيين والفطرات والـــ آثار لم يعبوا بذا الهجران
قالوا وتلك ظواهر لفظية لم تغن شيئاً طالب البرهان
فالعقل أولى أن يصار اليه من هذي الظواهر عند ذي العرفان
ثم ادعى كل بأن العقل ما قد قلته دون الفريق الثاني

يارب قد حار العباد بعقل من ... يزنون وحيك فأت بالميزان

وبعقل من يقضي عليك فكلهم ... قد جاء بالمعقول والبرهان

يارب أرشدنا إلى معقول من ... يقع التحاكم أننا خصمان

هذا كما قال شيخ الاسلام في « الحموية » : ثم المخالفون للكتاب والسنة في أمر مريج ، فان من ينكر الرؤية يزعم أن العقل يحيلها ، وأنه مضطر فيها إلى التأويل ، ومن يحيل أن لله علماً وقدرة ، وأن يكون كلامه غير مخلوق ، ونحو ذلك ، يقول : إن العقل أحال ذلك ، فاضطر إلى التأويل ، بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقي في الجنة ، يزعم أن العقل أحال ذلك ، وأنه مضطر إلى التأويل ، ومن زعم أن الله ليس فوق العرش ، يزعم أن العقل أحال ذلك ، وأنه مضطر الى التأويل ، ويكفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل ، بل منهم من يزعم أن العقل جوز أو أوجب مايدعي الآخر أن العقل أحاله ، فياليت شعري ، بأي عقل يوزن الكتاب والسنة ؟ فرضي الله عن مالك بن أنس الامام حيث قال : أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل الى محمد ﷺ لجدل هؤلاء ؟! انتهى قوله .

جاؤوا بشبهات وقالوا إنها ... معقولة ببداية الأذهان

كل يناقض بعضه بعضاً وما ... في الحق معقولان مختلفان

وقضوا بها كذباً عليك وجرأة ... منهم وما التفتوا إلى القرآن

يارب قد أوهى النفاة حبائل الـ ... ـقرآن والآثار والايمان

يارب قد قلب النفاة الدين والـ ... ـإيمان ظهرا منه فوق بطان

يارب قد بغت النفاة وأجلبوا بالخيل والرجل الحقير الشان
نصبوا الحبائل والغوائل للألى أخذوا بوحيك دون قول فلان
ودعوا عبادك أن يطيعوهم فمن يعصيهم ساموه شر هوان
وقضوا على من لم يقل بضلالهم باللعن والتضليل والكفران
وقضوا على أتباع وحيك بالذي هم أهله لا عسكر الفرقان
وقضوا بعزلهم وقتلهم وحبـــسهم ونفيهم عن الأوطان
وتلاعبوا بالدين مثل تلاعب الـــحمر التي نفرت بلا ارسان
حتى كأنهم تواصوا بينهم يوصي بذلك أول للثاني
هجروا كلامك هجر مبتدع لمن قد دان بالآثار والقرآن
فكأنه فيما لديهم مصحف في بيت زنديق أخي كفران
أو مسجد بجوار قوم همهم في الفسق لا في طاعة الرحمن
وخواصهم لم يقرؤوه تدبرا بل للتبرك لا لفهم معان
وعوامهم في السبع أو في ختمه أو تربة عوضاً لذي الاثمان
هذا وهم حرفية التجويد أو صوتية الأنغام والالحان
يارب قد قالوا بأن مصاحف الـــ اسلام ما فيها من القرآن
إلا المداد وهذه الأوراق والـــجلد الذي قد سل من حيوان

هذا كما حكى الحافظ أبو محمد بن حزم في كتاب « الملل والنحل » قال: ولقد أخبرني علي بن حمزة المرادي الصقلي الصوفي أنه رأى بعض **الأشعرية**

ينطح المصحف برجله . قال : فأكبرت ذلك وقلت له : ويحك تفعل هذا الفعل بالمصحف وفيه كلام الله عز وجل ؟! فقال لي : ويحك والله مافيه الا السخام والسواد . وأما كلام الله تعالى فلا ، أو كلاماً هذا معناه . قال أبو محمد : وكتب إلي بو المرجى علي بن زوار المصري رحمه الله تعالى أن بعض ثقات إخوانه من طلاب السنن أخبره أن رجلًا من الأشعرية قال له مشافهة على من يقول : ان الله تعالى قال : (قل هو الله احد . الله الصمد) ألف لعنة. قال أبو محمد : بل على من ينكر أن الله تعالى قالها ألف ألف لعنة وعلى من ينكر أنه يسمع كلام الله عز وجل ويقرأ كلام الله عز وجل ألف ألف لعنة تترى عليه من عند الله عز وجل ، ثم من ملائكته ، وأنبيائه ، وجميع الصالحين من الانس والجن ، فان قول هذه الفرقة في هذه المسألة نهاية الكفر بالله عز وجل ، ومخالفة القرآن ، وتكذيب رسول الله ﷺ ، ومضادة جميع أهل الاسلام قبل حدوث هذه الطائفة . انتهى كلامه .

قوله : وعوامهم في السبع . قال في « القاموس » السبع بالضم وكأمير : جزء من سبعة .

قوله : أو في ختمة . ختم الشيء ختماً : بلغ آخره .

والكل مخلوق ولست بقائل أءلاً ولا حرفاً من القرآن
إن ذاك الا قول مخلوق وهل هو جبرئيل أو الرسول فذان
قولان مشهوران قد قالتهما أشياخهم يامحنة القرآن

يشير الى قول الأشاعرة : إن كلام الله عز وجل هو المعنى النفسي ، وإن الفاظ القرآن مخلوقة ، ولكن هل الذي أنشأها جبريل ، أو محمد ﷺ ؟ على قولين لهم مشهورين .

لو داسه رجل لقالوا لم يطأ إلا المداد وكاغد الانسان

يارب زالت حرمة القرآن من تلك القلوب وحرمة الايمان
وجرى على الافواه منهم قولهم مابيننا لله من قرآن
ما بيننا إلا الحكاية عنه والـــتعبير ذاك عبارة بلسان
هذا وما التالون عمالا به إذهم قد استغنوا بقول فلان
إن كان قد جاز الحناجر منهم فبقدر ماعقلوا من القرآن
والباحثون فقدموا رأي الرجا ل عليه تصريحاً بلا كتمان
عزلوه إذ ولوا سواه وكان ذا ك العزل قائدهم إلى الخذلان
قالوا ولم يحصل لنا منه يقـــين فهو معزول عن الايقان
إن اليقين قواطع عقليـــة ميزانها هو منطق اليونان
هذا دليل الرفع منه وهذه أعلامه في آخر الأزمان
يارب من أهلوه حقا كي يرى أقدامهم منا على الأذقان
أهلوه من لا يرتضي منه بديـــلاً فهو كافيهم بلا نقصان
وهو الدليل لهم وهاديهم الى الـــ ايمان والايقان والعرفان
هو موصل لهم إلى درك اليقـــين حقيقة وقواطع البرهان
يارب نحن العاجزون بحبهم ياقلة الأنصار والأعوان

فصل

في أذان أهل السنة الاعلام بصريحها جهراً على رؤوس منابر الاسلام

ياقوم قد حانت صلاة الفجر فانـــتبهوا فاني معلن بأذان
لا بالملحن والمبدل ذاك بل تأذين حق واضح التبيان
وهو الذي حقاً أجابته على كل امرىء فرض على الأعيان

هذا تأذين لغوي ، لأن الأذان في اللغة : الاعلام . قال الله تعالى (وأذان من الله ورسوله ...) التوبة : ٣ الآية .

الله أكبر أن يكون كلامه الـــعربي مخلوقا من الأكوان
والله أكبر أن يكون رسوله الـــملكي أنشأه عن الرحمـن
والله أكبر أن يكون رسوله الـــبشري أنشأه لنا بلســـان

خلافاً للجهمية والمعتزلة ، والله أكبر أن يكون رسوله الملكي أنشأه عن الرحمن ؛ أي : جبريل عليه السلام كما يقوله القائلون بالكلام النفسي ، والله أكبر أن يكون رسوله البشري أنشأه لنا بلسان . أي : محمد ﷺ ، كما هو أحد القولين للقائلين بالكلام النفسي .

هذي مقالات لكم يا أمة التـــشبيه ما أنتم على ايمان

أي : إنهم شبهوا الرحمن تعالى بالأصنام التي لا تتكلم ، ثم بين وجه التشبيه

بقولـــه :

شبهتم الرحمن بالأوثان في عدم الكلام وذاك للأوثان
مما يدل بأنهـا ليسـت بآ لهة وذا البرهان في القرآن
في سورة الأعراف مع طه وثا لثها فلا تعدل عن القرآن

يعني قوله تعالى في سورة الاعراف : ١٤٨ (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار ألم يرو أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) الآية وفي سورة طه : ٨٨ (فأخرج لهم عجلاً جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولاً) الآية .

أيصح كون الجاحدين لكونه متكلماً بحقيقة وبيـان
هم أهل تعطيل وتشبيه معاً بالجامدات عظيمة النقصـان
لاتقذفوا بالداء منكم شيعة الـــرحمن أهل العلم والعرفان

أي : لاتسموا أهل الحديث والسنة مشبهة ، فانكم أهل التشبيه ، لأنكم شبهتم الرحمن بالجامدات في عدم الكلام .

ان الذي نزل الأمين به على قلب الرسول الواضح البرهان
هو قول ربي اللفظ والمعنى جميـــعاً اذ هما أخوان مصطحبان
لاتقطعوا رحماً تولى وصلها الـــرحمن تنسلخوا من الايمان
ولقد شفانا قول شاعرنا الذي قال الصواب وجاء بالاحسان
إن الذي هو في المصاحف مثبت بأنامل الاشياخ والشبـان

هو قول ربي آيه وحروفه ومدادنا والرق مخلوقان

الرق بفتح الراء الورق .

والله أكبر من على العرش استوى لكنه استولى على الأكوان

والله أكبر ذو المعارج من الـــيه تعرج الاملاك كل أوان

والله أكبر من يخاف جلاله أملاكه من فوقهم بيبان

والله أكبر من غدا لسريره أط به[1] كالرحل للركبان

والله أكبر من أتانا قوله من عنده من فوق ست ثمان

نزل الأمين به بأمر الله من رب على العرش استوى رحمان

والله أكبر قاهر فوق العبا د فلا تضع فوقية الرحمن

من كل وجه تلك ثابتة له لاتهضموها ياأولي العدوان

قهراً وقدراً واستواء الذات فو ق العرش بالبرهان والقرآن

أي : إن أنواع العلو ثابتة لله سبحانه ، وهي علو القهر ، وعلو القدر ، وعلو الذات .

فبذاته خلق السموات العلى ثم استوى بالذات فافهم ذان

فضمير فعل الاستواء يعود للـــذات التي ذكرت بلا فرقان

أي : إن الضمير في قوله تعـــالى (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) الأعراف : ٥٤ يعود على الله أي : استوى هو .

---

(١) لايصح في أطيط العرش حديث .

هو ربنا هو خالق هو مستو بالذات هذي كلها بوزان
والله أكبر ذو العلو المطلق المعلوم بالفطرات للانسان
فعلوه من كل وجه ثابت فالله أكبر جل ذو السلطان
والله أكبر من رقى فوق الطبا ق رسوله فدنا من الديان
واليه قد عرج الرسول حقيقة لاتنكروا المعراج بالبهتان
ودنا من الجبار جل جلاله ودنا اليه الرب ذو الاحسان[1]
والله قد أحصى الذي قد قلتم في ذلك المعراج بالميزان
قلتم خيالاً أو أكاذيباً أو المعراج لم يحصل إلى الرحمن
إذ كان مافوق السموات العلى رب اليه منتهى الانسان
والله أكبر من أشار رسوله حقاً اليه بأصبع وبنان
في مجمع الحج العظيم بموقف دون المعرف موقف الغفران

قد تقدم الحديث في ذلك .

من قال منكم من أشار بأصبع قطعت فعند الله يجتمعان

هذا اشارة الى قول من قال من المعطلة : إن من اشار بأصبعه الى السماء ، وإن الله تعالى فوق خلقه ، تقطع أصبعه .

والله أكبر ظاهر مافوقه شيء وشأن الله أعظم شان
والله أكبر عرشه وسع السما والارض والكرسي ذا الاركان
وكذلك الكرسي قد وسع الطبا ق السبع والأرضين بالبرهان

---

(١) هذا على من قال بأن الرب عز وجل هو الذي دنا فتدلى ، وهو غير صحيح وهو أيضاً خلاف ما اختاره المصنف في بعض كتبه ، كمدارج السالكين وغيره . والصحيح أن جبريل عليه السلام هو الذي دنا فتدلى . انظر الجزء الأول صفحة (٠٩٠) و(٤٠٠).

والله فوق العرش والكرسي لا يخفى عليه خواطر الانسان
لاتحصروه في مكان إذ تقو لوا ربنا حقاً بكل مكان
نزهتموه بجهلكم عن عرشه وحصرتموه في مكان ثان

اشارة الى قول النجارية ، والضرارية : إنه تعالى في كل مكان .

لاتعدموه بقولكم لاداخل فينا ولا هو خارج الأكوان

اشارة الى قول الجهمية وأتباعهم : إنه تعالى لا داخل العالم ، ولا خارجه ، فان ذلك صفة المعدوم .

الله أكبر هتّكت أستاركم وبدت لمن كانت له عينـــان
والله أكبر جل عن شبه وعن مثل وعن تعطيل ذي كفران
والله أكبر من له الأسماء والـــ أوصاف كاملة بلا نقصان
والله أكبر جل عن ولد وصا حبة وعن كفء وعن أخدان
والله أكبر جل عن شبه الجما د كقول ذي التعطيل والكفران
هم شبهوه بالجماد وليتهم قد شبهوه بكامل ذي شان
الله أكبر جل عن شبه العبا د فذان تشبيهان ممتنعان
الله أكبر واحد صمد وكـــل الشأن في صمدية الرحمن
نفت الولادة والأبوة عنه والـــكفء الذي هو لازم الانسان
وكذاك أثبتت الصفات جميعها لله سالمة من النقصان

واليه يصمد كل مخلوق فلا صمد سواه عز ذو السلطان

تقدم الكلام في تفسير الصمد بما يغني عن الاعادة .

لاشيء يشبهه تعالى كيف يشـــبهه خلقه ماذاك في الامكان

لكن ثبوت صفاته و كلامه وعلوه حقاً بلا نكران

لاتجعلو الاثبات تشبيهاً له يافرقة التلبيس والطغيان

كم ترتقون بسلم التنزيه للـــتعطيل ترويجاً على العميان

أي انكم تسمون التعطيل تنزيهاً للترويج على العميـــان والجهال ، فاستعار لفظة السلم لهذا المعنى .

فالله أكبر أن تكون صفاته كصفاتنا جل العظيم الشان

هذا هو التشبيه لاإثبات أو صاف الكمال فما هما سيان

فصل

في تلازم التعطيل والشرك

واعلم بأن الشرك والتعطيل مذ كانا هما لاشك مصطحبان

أبداً فكل معطل هو مشرك حتماً وهذا واضح التبيان

فالعبد مضطر إلى من يكشف الـــبلوى ويغني فاقة الانسان

واليه يصمد في الحوائج كلها ... واليه يفزع طالب لأمان

فاذا انتفت أوصافه وفعاله ... وعلوه من فوق كل مكان

فزع العباد إلى سواه وكان ذا ... من جانب التعطيل والنكران

فمعطل الأوصاف ذاك معطل الـ ... ـتوحيد حقاً ذان تعطيلان

قد عطلا بلسان كل الرسل من ... نوح إلى المبعوث بالقرآن

والناس في هذا ثلاث طوائف ... ما رابع أبداً بذي امكان

إحدى الطوائف مشرك بالهه ... فإذا دعاه دعا إلهاً ثاني

هذا وثاني هذه الاقسام ذا ... لك جاحد يدعو سوى الرحمن

هو جاحد للرب يدعو غيره ... شركاً وتعطيلاً له قدمان

هذا وثالث هذه الأقسام خـ ... ـير الخلق ذاك خلاصة الانسان

يدعو الاله الحق لا يدعو سوا ... ه قط في الاكوان والأزمان

يدعوه في الرغبات والرهبات والـ ... ـحالات من سر ومن اعلان

لما ذكر في هذا الفصل أن الشرك والتعطيل متلازمان ، ذكر أن الناس ثلاث طوائف أحدها : المشركون وهم الذين جعلوا مع الله إلهاً آخر. والثانية: الجاحدون الذين يدعون غير الله ويجحدونه ، وهؤلاء قد جمعوا الشرك والتعطيل. والثالثة : الموحدون خلاصة الانسان الذين يدعون الله سبحانه في الرغبات والرهبات وجميع الحالات ، ثم قال :

توحيده نوعان علمي وقصـ ... ـدي كما قد جرد النوعان

في سورة الاخلاص مع تال لنصـــر الله قـــل ياأيهـــا ببيـان
ولذاك قد شرعا بسنة فجرنا وكذاك سنة مغرب طرفان
فيكون مفتتح النهار وختمه تجريدك التوحيد للديان
وكذاك قد شرعا بخاتم وترنا ختما لسعي الليـل بالآذان
وكذاك قدشرعا بركعتي الطوا ف وذاك تحقيق لهذا الشان
فهما إذاً أخوان مصطحبان لا يتفارقان وليس ينفصلان
فمعطل الأوصاف ذوشرك كذا ذو الشرك فهو معطل الرحمن
أو بعض أوصاف الكمال له فحـــقق ذا ولا تسرع إلى النكران

قوله : توحيده قصدي الخ . شرح هذه الأبيات ماذكره الناظم رحمه تعالى في «بدائع الفوائد» في الكلام على سورة (قل يا أيها الكافرون) قال : ولهذا كان النبي ﷺ يقرأبها و(قل هو الله أحد) في سنة الفجر ، وسنة المغرب ، فان هاتين السورتين سورتا الاخلاص ، وقداشتملا على نوعي التوحيد الذي لا فلاح للعبد ولانجاة الا بهما ، وهما توحيد العلم والاعتقاد المتضمن تنزية الله عما لا يليق به من الشرك ، والولد، والوالد ، وأنه إله أحد صمد ، لم يلد . فيكون له فرع ، ولم يولد فيكون له أصل ، ولم يكن له كفواً أحد فيكون له نظير ، ومع هذا الذي قد اجتمعت له صفات الكمال كلها، فتضمنت السورة إثبات ما يليق بجلاله ، من صفات الكمال ، ونفي ما لا يليق به من الشريك أصلا وفرعاً ونظيراً ، فهذا توحيد العلم والاعتقاد ، والثاني توحيد القصد والارادة ، وهو أن لايعبد الا الله ، فلا يشرك به في عبادته سواه ، بل يكون وحده هوالمعبود . وسورة (قل يا ايها الكافرون)

مشتملة على هذا التوحيد، فانتظمت السورتان نوعي التوحيد، وأخلصت له، فكان النبي ﷺ يفتتح بهما النهار في سنة الفجر، ويختم بهما في سنة المغرب. وفي «السنن» أنه كان يوتر بهما فيكونا خاتمة عمل الليل، كما كانا خاتمة عمل النهار. انتهى.

فصل

في بيان أن المعطل شر من المشرك

لكن أخو التعطيل شر من أخي الـ ـإشراك بالمعقول والبرهان
إن المعطل جاحد للذات أو لكمالها هذان تعطيلان
متضمناً للقدح في نفس الالو هة كم بذاك القدح من نقصان
والشرك فهو توسل مقصوده الـ ـزلفى من الرب العظيم الشان
بعبادة المخلوق من حجر ومن بشر ومن قبر ومن أوثان
فالشرك تعظيم بجهل من قيا س الرب بالأمراء والسلطان
ظنوا بأن الباب لا يغشى بدو ن توسط الشفعاء والاعوان
ودهاهمُ ذاك القياس المستبين فساده ببديهة الانسان
الفرق بين الله والسلطان من كل الوجوه لمن له أذنان

إن الملوك لعاجزون ومالهم علم بأحوال الدعا بأذان
كلا و لاهم قادرون على الذي يحتاجه الانسان كل زمان
كلا وما تلك الارادة فيهم تقضي حوائج كلما انسان
كلا ولا وسعوا الخليقة رحمة من كل وجه هم أولو النقصان
فلذلك احتاجوا إلى تلك الوسا ئط حاجة منهم مدى الأزمان

ذكر رحمه الله في هذه الأبيات أن المعطل شر من المشرك ، ثم بين ذلك بقوله : إن المعطل جاحد للذات أو لكمالها الخ . وذلك يتضمن القدح في الألوهية ، وأما الشرك فهو توسل ، أي تقرب مقصوده الزلفى ، أي : تقريباً من الرب سبحانه ، وذلك بعبادة المخلوقات ، سواء كانت حجراً ، أو قبراً ، أو بشراً ، أو وثناً . وأصل الشرك تعظيم الله سبحانه ، لكن بجهل ، وذلك أن المشركين قاسوا الرب سبحانه بالملوك ، قالوا : إن الملك لا يحصل القرب منه إلا بتوسط الشفعاء ، وهذا القياس من أبطل الباطل ، وفساده ظاهر ببديهة العقل ، وذلك أن الملوك عاجزون لا علم لهم بأحوال الرعايا ، ولا قدرة لهم على حوائج الخلق ، ولا وسعوا الخلائق رحمة ، بل هم عاجزون ، ناقصون ، فقراء الى الله سبحانه فقراً ذاتياً ، والفرق بين الله تعالى وبين الملوك ظاهر من جميع الوجوه . ثم بين غناء الرب سبحانه وكمال علمه وقدرته ، وأن الخلق جميعهم في قبضته ، وهم فقراء اليه ، وهو الغني عنهم غناء ذاتياً ، وهم في غاية الحاجة اليه ، فقال :

أما الذي هو عالم للغيب مقتدر على ماشاء ذو إحسان
وتخافه الشفعاء ليس يريد منهم حاجة جل العظيم الشان

بل كل حاجات لهم فإليه لا لسواه من ملك ولا انسان

وله الشفاعة كلها وهو الذي في ذاك يأذن للشفيع الداني

لمن ارتضى ممن يوحده ولم يشرك به شيئاً كما قد جاء في القرآن

سبقت شفاعته اليه فهو مشـ ـفوع اليه وشافع ذو شان

فلذا أقام الشافعين كرامة لهمُ ورحمة صاحب العصيان

فالكل منه بدا ومرجعه اليـ ـه وحده مـ ـامن اله ثان

غلط الألى جعلوا الشفاعة من سوا ه اليه دون الإذن من رحمن

هذي شفاعة كل ذي شرك فلا تعقد عليها يا أخا الايمان

والله في القرآن أبطلها فلا تعدل عن الآثار والقرآن

وكذا الولاية كلها لله لا لسواه من ملك ولا انسان

تقدم بسط الكلام في معاني هذه الابيات بما أغنى عن الاعادة .

والله لم يفهم أولو الاشراك ذا ورآه تنقيصاً اولو النقصان

إذ قد تضمن عزل من يدعى سوى الـ ـرحمن بل أحـ ـديّة الرحمن

بل كل مدعو سواه من لدن عرش الاله إلى الحضيض الداني

هو باطل في نفسه ودعاء عا بده له من أبطل البطلان

فله الولاية والولاية مالنا من دونه وال من الأكوان

فإذا تولاه امرؤ دون الورى طراً تولاه عظيم الشان

الولاية الأولى بفتح الواو لاغير ؛ أي المحبة والنصر . والثانية بكسر الواو : الامارة . قوله طراً ؛ أي : جميعاً .

وإذا تولى غيره من دونه ولاه مايرضى به لهوان

في هذه الدنيا وبعد مماته وكذاك عند قيامة الأبدان

حقاً يناديهم نداً سبحانه يوم المعاد فيسمع الثقلان

يامن يريد ولاية الرحمن دو ن ولاية الشيطان والأوثان

فارق جميع الناس في إشراكهم حتى تنال ولايـة الرحمن

يكفيك من وسع الخلائق رحمة وكفاية ذو الفضل والاحسان

يكفيك من لم تخل من احسانه في طرفة تتقلب الأجفان

يكفيك رب لم تزل ألطافه تأتي اليك برحمة وحنان

يكفيك رب لم تزل في ستره ويراك حين تجيء بالعصيان

يكفيك رب لم تزل في حفظه ووقاية منه مدى الأزمان

يكفيك رب لم تزل في فضله متقلباً في السر والاعلان

يدعوه أهل الأرض مع أهل السما ء فكل يوم ربنا في شان

وهو الكفيل بكل مايدعونه لايعتري جدواه من نقصان

فتوسط الشفعاء والشركاء والـ ـظهراء أمر بيّن البطلان

مافيه إلا محض تشبيه لهم بالله وهو فأقبح البهتان
مع قصدهم تعظيمه سبحانه ماعطلوا الأوصاف للرحمن
لكن أخو التعطيل ليس لديه إلا النفي أين النفي من ايمان
والقلب ليس يقر إلا بالتعبد فهو يدعوه الى الأكوان
فترى المعطل دائماً في حيرة متنقلاً في هذه الأعيان
يدعو إلهاً ثم يدعو غيره ذا شأنه أبداً مدى الأزمان
وترى الموحد دائماً متنقلا بمنازل الطاعات والاحسان
مازال ينزل في الوفاء منازلا وهي الطريق له إلى الرحمن
لكنما معبوده هو واحد ماعنده ربان معبودان

قوله : لايعتريه جدواه من نقصان .

قوله : جدواه الخ . الجدا بكسر الجيم والجدى بالقصر والجدوى العطية ، وجداه واجتداه واستجداه ؛أي : طلب جدواه ، وأجداه : أعطاه الجدوى ، قاله في « مختار الصحاح » وهذا كما في الحديث القدسي حديث أبي ذر الذي رواه مسلم : « ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد ، ثم سألوني فأعطيت كل انسان مسألته مانقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر »

وقوله ﷺ « يمين الله ملأى لايغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار أرأيتم ماأنفق منذ خلق السموات والأرض ، فانه لم يغض ما في يمينه ، وبيده الأخرى القسط ، يخفض ويرفع الى يوم القيامة » ثم ضرب الناظم

مثلاً للمشرك والمعطل فقال :

فصل

في مثل المشرك والمعطل

أين الذي قد قال في ملك عظـــيم لست فينا قط ذا سلطان
ما في صفاتك من صفات الملك شـــيء كلها مسلوبة الوجدان
فهل استويت على سرير الملك أو دبرت أمر الملك والسلطان
أو قلت مرسوماً تنفذه الرعا يا أو نطقت بلفظة ببيان
أو كنت ذا أمر وذا نهي وتكـــليم لمن وافى من البلدان
أو كنت ذا سمع وذا بصر وذا علم وذا سخط وذا رضوان
أو كنت قط مكلماً متكلماً متصرفاً بالفعل كل زمان
أو كنت تفعل ما تشاء حقيقة الـــ فعل الذي قد قام بالأذهان
أو كنت حياً فاعلاً بمشيئة وبقدرة أفعال ذي السلطان
فعل يقوم بغير فاعله محا ل غير معقول لذي الانسان
بل حالة الفعال قبل ومع وبعـــد هي التي كانت بلا فرقان
والله لست بفاعل شيئا إذا ما كان شأنك منك هذا الشان

لا داخلا فينا ولست بخارج عنا خيالاً درت في الأذهان
فبأي شيء كنت فينا مالكاً ملكاً عظيماً قاهر السلطان
إسماً ورسماً لاحقيقة تحته شأر الملوك أجل من ذا الشان
هذا وثان قال أنت مليكنا وسواك لانرضاه من سلطان
إذ حزت أوصاف الكمال جميعها ولأجل ذا دانت لك الثقلان
وقداستويت على سرير الملك واستوليت مع هذا على البلدان
لكنّ بابك ليس يغشاه امرؤ إن لم يجيء بالشافع المعوان
ويذل للبواب والحجاب والشفعاء أهل القرب والاحسان
أفيستوي هذا وهذا عندكم والله ماستويا لدى نسان
والمشركون أخف في كفرانهم وكلاهما من شيعة الشيطان
ان المعطل بالعداوة قائم في قالب التنزيه للرحمن

حاصل كلام الناظم في هذا الفصل أنه ضرب مثلاً للمشرك والمعطل ، فلسان حال المعطل يقول في إلهه سبحانه : إنك لست فينا ذا سلطان ، لأنك لم تستو على سرير الملك ، ولم تدبر أمر الملك والسلطان ، ولم تكلم ولاتتكلم ولست بفاعل فعلاً حقيقة ، بل فعلك هو المفعول ، بل حالك قبل الفعل ومعه وبعده سواء ، ولست داخلاً في العالم ولاخارجاً منه ، بل أنت خيال في الأذهان ، فبأي شيء كنت فينا مالكاً ؟! تعالى الله عما تقول المعطلة علواً كبيراً .

قـــوله : هذا وثان الخ . هذا هو المشرك ؛ أي :إن المشرك قال : يارب أنت مليكنا وخالقنا ، والمتصرف فينا ، وقد حزت أوصاف الكمال جميعها ، وقد استويت على سرير الملك ، واستوليت على المخلوقات والاكوان ، ولكن بابك لايغشى إلا بالشفعاء ، ولا بد مع ذلك من الذل للبواب والحجاب والشفعاء المقربين ، أفيستوي هذان عندكم ؟! حاشا وكلا ، بل المشركون أخف في كفرانهم ، والكل من شيعة الشيطان ، ولكن المعطل يزيد على المشرك بأنه قائم بالعداوة في قالب التنزيه .

فصـل

فيما أعد الله تعالى من الاحسان للمتمسكين بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عند فساد الزمان .

هذا والمتمسكين بسنة الـــمختار عندفساد ذي الأزمان
أجر عظيم ليس يقدر قدره إلا الذي أعطاه للأنسان
فروى أبو داود في سنن له ورواه أيضاً أحمد الشيباني
أثراً تضمن أجر خمسين امرىء من صحب أحمد خيرة الرحمن
إسناده حسن ومصداق له في مسلم فافهمه فهم بيان
ان العبادة وقت هرج هجرة حقاً إليّ وذاك ذو برهان
هذا فكم من هجرة لك أيها الـــسني بالتحقيق لا بأمـان

هذا وكم من هجرة لهمُ بما قال الرسول وجاء في القرآن
ولقد أتى مصداقه في الترمذي لمن له أذنان واعيتان
في أجر محيي سنة ماتت فدا ك مع الرسول رفيقه بجنان
هذا ومصداق له ايضاً أتى في الترمذي لمن له عينان
تشبيه أمته بغيث أول منه وآخره فمشتبهان

قال شيخ الاسلام في بعض أجوبته . والحديث الذي يروى « مثل أمتي كمثل الغيث لايدرى أوله خير أو آخره » قد تكلم في اسناده ، وبتقدير صحته إنما معناه أنه يكون في آخر الأمة من يقارب أولها حتى يشتبه على بعض الناس أيهما خير ، كما يشتبه على بعض الناس طرفا الثوب ، مع القطع بأن الأول خير من الآخر ، فانه قال : لايدرى ، ومعلوم أن هذا السلب ليس عاماً ، فانه لابد أن يكون معلوماً أيهما أفضل .

فلذاك لايدرى الذي هو منهما قد خص بالتفصيل والرجحان
ولقد أتى أثر بأن الفضل في الطرفين أعني أولاً والثاني
والوسط ذو ثبج فأعوج هكذا جاء الحديث وليس ذا نكران
ولقد أتى في الوحي مصداق له في الثلثين و ذاك في القرآن
أهل اليمين فثلة مع مثلها والسابقون أقل في الحسبان

قال في « القاموس » : الثبج محركة : وسط الشيء ، ومعظمه . قال الله تعالى : (إنا أنشأناهن إنشاء . فجعلناهن أبكاراً . عرباً أتراباً . لأصحاب

اليمين . ثلة من الأولين . وثلة من الآخرين) الواقعة : ٣٥ - ٤٠ الثلة: الجماعة التي لايحصيها عدد . قال الزجاج : معنى ثلة : فرقة ، من ثلث الشيء إذا قطعته ، والمعنى أنهم جماعة ، أو أمة ، أو فرقة ، أو قطعة من الأولين ، وهم من لدن آدم إلى نبينا ﷺ . وقال أبو العالية ، ومجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ، والضحاك : ثلة من الأولين بمعنى من سابقي هذه الأمة ، وثلة من الآخرين من هذه الأمة .

أخرج مسدد ، وابن المنذر بسند حسن ، عن أبي بكرة عن النبي ﷺ في الآية قال : « جميعها من هذه الأمة » وعنه قال : « هما جميعاً من هذه الأمة » . وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « هما جميعاً من أمتي » . أخرجه عبد بن حميد ، وابن عدي ، والفريابي ، وغيرهم . قال السيوطي : بسند ضعيف ، وعنه قال : « الثلثان جميعاً من هذه الأمة » وبه قال أبو العالية ، ومجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ، والضحاك ، وهو اختيار الزجاج فان قيل : كيف قال قبل هذا (وقليل من الآخرين) ثم قال هنا (وثلة من الآخرين) الواقعة : ٤٠ قيل ذاك في السابقين الأولين ، وقليل من يلحق بهم من الآخرين ، وهذا في أصحاب اليمين ، وأنهم يتكاثرون من الأولين والأخرين جميعاً .

ما ذاك الا ان تابعهم هم الـــــغرباء ليست غربة الاوطان
لكنها والله غربة قائم بالدين بين عساكر الشيطان
فلذاك شبههم به متبوعهم في الغربتين وذاك ذو تبيان
لم يشبهوهم في جميع امورهم من كل وجه ليس يستويان
فانظر الى تفسيره الغرباء بالـــــمحيين سنته بكل زمان

طوبى لهم والشوق يحدوهم الى أخذ الحديث ومحكم القرآن
طوبى لهم لم يعبؤوا بنجاته الـــأفكار او بزبالة الاذهان
طوبى لهم ركبوا على متن العزا ثم قاصدين لمطلع الايمان
طوبى لهم لم يعبؤوا شيئاً بذي الـــآراء اذ أغناهم الوحيان
طوبى لهم وامامهم دون الورى من جاء بالايمان والفرقان
والله ما ائتموا بشخص دونه الا اذا مادلهم ببيان
في الباب آثار عظيم شأنها أعيت على العلماء في الأزمان
اذا أجمع العلماء ان صحابة الـــمختار خير طوائف الانسان
ذا بالضرورة ليس فيه الخلف بـــين اثنين ماحكيت به قولان
فلذاك ذي الآثار أعضل امرها وبغوا لها التفسير بالاحسان
فاسمع اذاً تأويلها وافهمه لا تعجل برد منك أو نكران
ار البدار بردّ شيء لم تحط علماً به سبب الى الحرمان
الفضل منه مطلق ومقيد وهما لأهل الفضل مرتبتان

قوله : والفضل منه مطلق ومقيد ، معنى ذلك أن الفضل منه مطلق ومقيد ، فالفضل المطلق كفضل رسول الله ﷺ ، وفضل أصحابه على من بعدهم ، والفضل المقيد ، مثل خلق الله سبحانه آدم بيده ، فهذا الفضل المقيد لايوجب تفضيله على سيدنا محمد ﷺ ، وكذا خصائص من أتى من بعد آدم

من الرسل لايوجب تفضيلهم عليه ﷺ ، و كذا الأثر الذي فيه أن المتمسك بدينه في آخر الزمان له أجر خمسين من أصحاب رسول الله ﷺ ، لايوجب ذلك أفضلية على رسول الله ﷺ ، لأنه في آخر الزمان ، وغربة الدين ، قد عدم المعين ، وصعب عليه القيام في وجوه أعداء الدين. وأما الصحابة رضي الله عنهم ، فهم ذوو أعوان وأنصار

والفضل ذو التقييد ليس بموجب فضلا على الاطلاق من انسان
لايوجب التقييد أن يقضى له بالاستواء فكيف بالرجحان؟!
إذ كان ذو الاطلاق حاز من الفضا ئل فوق ذي التقييد بالاحسان
فاذا فرضنا واحداً قد حاز نو عاً لم يحزه فاضل الانسان
لم يوجب التخصيص من فضل عليه ولا مساواة ولا نقصان
ماخلق آدم باليدين بموجب فضلا على المبعوث بالقرآن
و كذا خصائص من أتى من بعده من كل رسل الله بالبرهان
فمحمد أعلاهمُ فوقا وما حكمت لهم بمزية الرجحان
فالحائز الخمسين أجراً لم يحز ها في جميع شرائع الايمان
هل حازها في بدر أو أحدأ والـ ـفتح المبين وبيعة الرضوان
بل حازها إذ كان قد عدم الـ ـمعين وهم فقد كانوا أولي أعوان
والرب ليس يضيع مايتحمل الـ ـمتحملون لأجله من شان
فتحمل العبد الضعيف رضاه مع فيض العدو وقلة الأعوان.

مما يدل على يقين صادق ومحبة وحقيقة العرفان

أي : تحمل العبد مع ضعفه للمشاق لأجل رضى ربه ، يدل على صدق يقينه ، وشدة محبته له ، ومعرفته به .

يكفيه ذلاً واغتراباً قلة الـ ـأنصار بين عساكر الشيطان

في كل يوم فرقة تغزوه ان ترجع يوافيه الفريق الثاني

فسل الغريب المستضام عن الذي يلقاه بين عدى بلا حسبان

هذا وقد بعد المدى وتطاول الـ ـعهد الذي هو موجب الاحسان

ولذاك كان كقابض جمراً فسل أحشاءه عن حر ذي النيران

يشير الى الحديث « القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر »(١)

والله أعلم بالذي في قلبه يكفيه علم الواحد المنان

في القلب أمر ليس يقدر قدره إلا الذي آتاه للانسان

بر وتوحيد وصبر مع رضى والشكر والتحكيم للقرآن

سبحان قاسم فضله بين العبا دفذاك مولي الفضل والاحسان

فالفضل عند الله ليس بصورة الـ ـأعمال بل بحقائق الايمان

وتفاضل الأعمال يتبع مايقو م بقلب صاحبها من البرهان

حتى يكون العاملان كلاهما في رتبة تبدو لنا بعيان

---

(١) رواه الترمذي ، وأبو داود ، وهو حديث حسن .

هذا وبينهما كما بين السما والأرض في فضل وفي رجحان

ويكون بين ثواب ذا وثواب ذا رتب مضاعفة بلا حسبان

هذا عطاء الرب جل جلاله وبذاك تعرف حكمة الديان

أي : إن الفضل عند الله بحسب ما في القلوب من الايمان واليقين ، لا بحسب صور الأعمال وكثرتها ، كما قال بكر بن عبد الله المزني : ماسبقهم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ، ولكن بشيء وقر في قلبه .

فصل

فيما أعد الله تعالى في الجنة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة

ياخاطب الحور الحسان وطالباً لوصالهن بجنة الحيوان

لو كنت تدري من خطبت ومن طلبـــت بذلت ماتحوي من الأثمان

أو كنت تدري أين مسكنها جعـــلت السعي منك لها على الاجفان

ولقد وصفت طريق مسكنها فان رمت الوصال فلا تكن بالواني

أسرع وحث السير جهدك انما مسراك هذا ساعة لزمان

فاعشق وحدث بالوصال النفس وابـــذل مهرها مادمت ذا امكان

واجعل صيامك قبل لقياها ويو م الوصل يوم الفطر من رمضان

واجعل نعوت جمالها الحادي وسر تلقى المخاوف وهي ذات أمان

لما حث الناظم رحمه الله تعالى على طلب الوصال للحور العين كما قال بعضهم : وصم عن لذات الدنيا ، واجعل فطرك الموت ، شرع في ذم الدنيا والاشتغال بها عن الآخرة فقال :

لايلهينك منزل لعبت به أيدي البلى مذسالف الأزمان

البلى : بكسر الباء .

فلقد ترحل عنه كل مسرة وتبدلت بالهم والأحزان

سجن يضيق بصاحب الايمان لـــكن جنة المأوى لذي الكفران

سكانها أهل الجهالة والبطـ ـلة والسفاهة أنجس السكان

وألذهم عيشاً فأجهلهم بحـق الله ثم حقائق القرآن

عمرت بهم هذي الديار وأقفرت منهم ربوع العلم والايمان

قد آثروا الدنيا ولذة عيشها الـــفاني على الجنات والرضوان

صحبوا الأماني وابتلوا بحظوظهم ورضوا بكل مذهلة وهوان

كدحاً وكداً لايفتر عنهم مافيه من غم ومن أحزان

والله لو شاهدت هاتيك الصدو ر رأيتها كمراجل النيران

المراجل : جمع مرجل ، وهو القدر .

ووقودها الشهوات والحسرات والـ ـآلام لاتخبو مدى الأزمان

أبدانهم أحداث هاتيك النفو س اللاء قد قبرت مع الأبدان

أرواحهم في وحشة وجسومهم في كدحها لافي رضى الرحمن
هربوا من الرق الذي خلقوا له فبلوا برق النفس والشيطان

أي : إنهم والعياذ بالله هربوا من الرق الذي خلقوا له ، وهو عبادة الله وحده ، كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) الذاريات : ٥٦ فبلوا برق النفس والشيطان ؛ أي : فاستخدمتهم الشياطين ، واسترقتهم في تحصيل الشهوات الفانية ، وجمع عرض الدنيا الحسيس ، وحطامها الفاني ، فأعقبهم ذلك الحسرة والندامة ، وصار عاقبة ذلك العذاب الأليم ، نعوذ بالله من موجبات سخطه .

لاترض ما اختاروه هم لنفوسهم فقد ارتضوا بالذل والحرمان
لو ساوت الدنيا جناح بعوضة لم يسق منها الرب ذا الكفران
لكنها والله أحقر عنده من ذا الجناح القاصر الطيران

هذا معنى الحديث « لو ساوت الدنيا عند الله جناح بعوضة ماسقى كافراً منها شربة ماء » (١)

ولقد تولت بعد عن أصحابها فالسعد منها حل في الدبران
لايرتجي منها الوفاء لصبها أين الوفا من غادر خوان
طبعت على كدر فكيف تنالها صفواً أهذا قط في الامكان؟
ياعاشق الدنيا تأهب للذي قد ناله العشاق كل زمان
أو ماسمعت بل رأيت مصارع الـ ـعشاق من شيب ومن شبان

---

(١) رواه الترمذي عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه وقال: حديث حسن صحيح

فصل

في صفة الجنة التي أعدها الله ذو الفضل والمنة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة

فاسمع إذاً أوصافها وصفاتها تيك المنازل ربة الاحسان
هي جنة طابت وطاب نعيمها فنعيمها باق وليس بفان
دار السلام وجنة المأوى ومنـــزل عسكر الايمان والقرآن
فالدار دار سلامة وخطابهم فيها سلام واسم ذي الغفران

فصل

في عدد درجات الجنة وما بين كل درجتين

درجاتها مائة وما بين اثنتـــين فذاك في التحقيق للحسبان
مثل الذي بين السماء وبين ها ذي الأرض قول الصادق البرهان
لكنّ عاليها هو الفردوس مســـتوف بعرش الخالق الرحمن
وسط الجنان وعلوها فلذاك كا نت قبة من أحسن البنيـان
منها تفجر سائر الأنهار فالـــمنبوع منه نازل بجنان

«في مسند الامام أحمد» ، من حديث أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « إن المتحابين لترى غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي ، فيقال : من هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء المتحابون في الله عز وجل » وفيه أيضاً من حديثه ﷺ « إن في الجنة مائة درجة ، ولو ان العالمين اجتمعوا في احداهن وسعتهم » وفيه عنه أيضاً صلى الله عليه وسلم قال: «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد ، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة ، حتى يقرأ آخر شيء معه » قال الناظم رحمه الله في « حادي الأرواح » وهذا صريح في أن درج الجنة تزيد على مائة درجة . وأما حديث أبي هريرة عند البخاري عنه صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة مائة درجة » فاما ان هذه المائة من جملة الدرج ، وإما أن يكون نهايتها هذه المائة ، وفي ضمن كل درجة درج دونها ، ويدل على المعنى الأول حديث معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من صلى الصلوات الخمس ، وصام شهر رمضان ، كان حقاً على الله أن يغفر له هاجراً ، وقعد حيث ولدته أمه » قلت : يارسول الله ألا أخرج فأوذن الناس ؟ قال : « لا ، دع الناس يعملون ، فإن في الجنة مائة درجة ، بين كل درجتين مثل مابين السماء والارض ، وأعلاها درجة منها الفردوس ، وعليها يكون العرش ، وهي أوسط شيء في الجنة ، ومنها تفجر أنهار الجنة ، فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس » رواه الترمذي . وروي أيضاً عن عبادة بن الصامت نحوه . وفيه أيضاً من حديث أبي سعيد يرفعه « ان في الجنة مائة درجة » ورواه أحمد بدون لفظة « في » فان كان المحفوظ ثبوتها ، فهي من جملة درجها ، وان كان المحفوظ سقوطها ، فهي الدرج الكبار المتضمنة للدرج الصغار ، ولا تناقض بين تقدير مابين الدرجتين بالمائة ، وتقديرها بالخمس ، لاختلاف السير في

السرعة والبطء ، والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر هذا تقريباً للأفهام ، ويدل عليه حديث أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « في الجنة مائة درجة ، مابين الدرجتين مابين السماء والأرض ، وأبعد مما بين السماء والارض » قلت : يارسول الله لمن ؟ قال: « للمجاهدين في سبيل الله عز وجل » انتهى كلامه .

فصل

في أبواب الجنة

أبوابها حقاً ثمانية أتت في النص وهي لصاحب الاحسان
باب الجهاد وذاك أعلاها وباب الصوم يدعى الباب بالريان
ولكل سعي صالح باب ورب السعي منه داخل بأمان
ولسوف يدعى المرء من ابوابها جمعاً اذا وفى حلى الايمان
منهم ابو بكر هو الصديق ذا ك خليفة المبعوث بالقرآن

في « الصحيحين » من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « في الجنة ثمانية أبواب ، باب منها يسمى الريان ، لايدخله إلا الصائمون » وفيهما من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أنفق زوجين في شيء من الأشياء في سبيل الله ، دعي من أبواب الجنة : ياعبد الله ، هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ،

ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان . فقال أبو بكر : بأبي أنت وأمي يارسول الله ، ماعلى من دعي من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحد من تلك الابواب كلها ؟ فقال : «نعم وأرجو أن تكون منهم» .

وفي « صحيح مسلم » عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال : «مامنكم من أحد يتوضأ فيبلغ ، أو فيسبغ الوضوء ، ثم يقول : أشهد أن لا اله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء » زاد الترمذي بعد التشهد « اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين » زاد أبو داود والامام أحمد « ثم يرفع نظره إلى السماء » وعند أحمد عن أنس يرفعه « من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات : أشهد أن لا إله إلا الله الخ . وعن عتبة بن عبد الله السلمي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « مامن مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث ، الا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية ، من أيها شاء دخل » رواه ابن ماجه ، وعبد الله بن أحمد .

فصل

في مقدار مابين الباب والباب منها

سبعون عاماً بين كل اثنين منـــها قدرت بالعد والحسبان
هذا حديث لقيط المعروف بالخـــبر الطويل وذا عظيم الشان
وعليه كل جلالة ومهابة ولكم حواه بعد من عرفان

قال الناظم في « حادي الأرواح » روينا في « معجم الطبراني » عن عاصم ابن لقيط بن عامر ، خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ قال : قلت : يارسول الله ، فما الجنة والنار ؟ قال : لعمرو الهك ، ان للنار سبعة أبواب ، مامنها بابان الايسير الراكب بينهما سبعين عاماً ، وان للجنة ثمانية أبواب ، مامنها بابان الايسير الراكب بينهما سبعين عاماً . . » الحديث بطوله ، وهذا الظاهر منه أن هذه المسافة بين هذا الباب والباب ، لان بين مكة وبصرى ، لايحتمل التقدير بسبعين عاماً ، ولا يمكن حمله على باب معين ، بقوله « مامنها بابان » انتهى كلامه .

فصل

في مقدار ما بين مصراعي الباب الواحد منها

لكنَّ بينهما مسيرة أربعيـــن رواه حبر الأمة الشيباني
في مسند بالرفع وهو لمسلم وقف كمرفوع بوجه ثان
ولقد روى تقديره بثلاثة الـــأيام لكن عند ذي العرفان
أعني البخاري الرضى هو منكر وحديث راويه فذو نكران

عن ابي هريرة في حديث الشفاعة بطوله قال ﷺ « فأنطلق فآتي العرش ، فأقع ساجداً لربي ، فيقيمني رب العالمين مقاماً لم يقمه أحدا قبلي ، ولا يقيمه أحداً بعدي ، فأقول : يارب أمتي أمتي ، فيقول : يامحمد أدخل من أمتك من لاحساب عليهم من الباب الأيمن » وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب « والذي نفس محمد بيده إن مابين مصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر ، أو هجر ومكة » وفي لفظ « لكما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصرى » متفق على صحته ، وفي لفظ خارج الصحيح باسناده « ان ما بين عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر » وفي خطبة عتبة بن غزوان : لقد ذكر لنا أن مصراعين من مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام » فهذا موقوف ، والذي قبله مرفوع . فان كان رسول الله ﷺ هو الذاكر لهم

ذلك ، كان هذا سعة مابين باب من أبوابها ، ولعله الباب الأعظم ، وان كان الذاكر غير رسول الله ﷺ ، لم يقدم على حديث أبي هريرة المتقـــدم ، ولكن قد روى أحمد عن حكيم بن معاوية ، عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ قال : « أنتم موفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله ، وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً ، وليأتين عليه يوم وله كظيظ » وقد رواه ابن ابي داود عنه يرفعه « مابين كل مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة سبع سنين » وفي « مسند عبد بن حميد » ثنا الحسن بن موسى ، ثنا ابن لهيعة ، ثنا دراج أبو السمح ، عن ابي الهيثم ، عن ابي سعيد الخدري ، عن رسول الله ﷺ قال « ان مابين مصراعين في الجنة لمسيرة أربعين سنة » وحديث ابي هريرة أصح ، وهذه النسخة ضعيفة ، والله أعلم .

وروى ابو الشيخ عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه أن النبي ﷺ قال : «الباب الذي يدخل منه اهل الجنة مسيرة الراكب المجـــد » ثلاثاً «ثم انهم ليضغطون عليه ، حتى تكاد مناكبهم تزول »رواه ابو نعيم عنه . وهـــذا مطابق للحديث المتفق عليه « ان مابين المصراعين كما بين مكة وبصرى » فان الراكب المجود غاية الاجادة على اسرع هجين لايقر ليلاً ولانهاراً ، يقطع هذه المسافه في هذا القدر ، أو قريب منه . وأما حديث حكيم بن معاوية فقد اضطرب رواته ، فحماد بن سلمة ذكر عن الجريري « أربعين عاماً » وخالد ذكر عنه «سبع سنين» . وفي حديث ابي سعيد المرفوع « أربعون عاماً » وفي طريقه دراج . قال أحمد : أحاديثه مناكير . وقال أبو حاتم الرازي : ضعيف . وقال النسائي : ليس بالقوي ، فالصحيح المرفوع السالم عن الاضطراب والشذوذ والعلة حديث ابي هريرة المتفق على صحته ، على أن حديث حكيم ليس التقدير فيه بظاهر الرفع ، ويحتمل أنه مدرج في الحديث موقوف ؛ فيكون كحديث عتبه بن غزوان ، والله اعلم . انتهى كلام الناظم في « حادي الارواح » ملخصاً فهذا كلامه في « حادي الأرواح »

وظاهره ترجيح رواية التقدير بثلاثة أيام ، ولهذا جمع بينه وبين حديث ابي هريرة المتفق عليه الذي فيه « ان مابين المصراعين لكما بين مكة وبصرى » وفي هذا النظم ذكر عن البخاري أنه منكر ، والله اعلم .

فصل

في مفتاح باب الجنة

هذا وفتح الباب ليس بممكن الا بمفتـــاح على أسنان
مفتاحه بشهادة الاخلاص والتـــوحيد تلك شهادة الايمان
أسنانه الاعمال وهي شرائع الـــاسلام والمفتاح بالاسنان
لاتلغين هذا المثال فكم به من حل إشكال لذي العرفان

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ : « مفتاح الجنة شهادة ان لا اله الا الله » رواه احمد . وذكر البخاري في « صحيحه » عن وهب بن منبه أنه قيل له : أليس مفتاح الجنة لا اله الا الله ؟ قال : بلى ، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان ، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح ، والا لم يفتح . وعن أنس قال : قال أعرابي : يارسول الله ، مامفتاح الجنة ؟ قال : « لا اله الا الله » رواه ابو نعيم . وذكر ابو الشيخ عن يزيد بن سخبرة أن السيوف مفاتيح الجنة . وفي « المسند » من حديث معاذ بن جبل

قال : قال رسول الله ﷺ « ألا أدلكم على باب من أبواب الخير ؟ قلت : بلى . قال : « لاحول ولاقوة الا بالله » .

قال الناظم في « حادي الارواح » : وقد جعل الله سبحانه لكل مطلوب مفتاحاً يفتح به ، فجعل مفتاح الصلاة الطهور ، ومفتاح الحج الاحرام ، ومفتاح البر الصدق ، ومفتاح الجنة التوحيد ، ومفتاح العلم حسن السؤال ، وحسن الإصغاء ، ومفتاح النصر والظفر الصبر ، ومفتاح المزيد الشكر ومفتاح الولاية المحبة ، ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا ، ومفتاح الايمان التفكر فيما دعا الله عباده الى التفكر فيه ، ومفتاح الدخول على الله ، إسلام القلب ، وسلامته له ، والاخلاص له في الحب والبغض له ، والفعل والترك ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن ، والتضرع بالاسحار ، وترك الذنوب ، ومفتاح حصول الرحمة ؛ الاحسان في عبادة الخالق ، والسعي في نفع عبيده ، ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى ، ومفتاح العز طاعة الله ورسوله ، ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل ، ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة ، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل . وهذا باب عظيم من أنفع ابواب العلم ، وهو معرفة مفاتيح الخير والشر ، ولا يوفق لمعرفته ومراعاته الا من عظم حظه وتوفيقه ، فان الله سبحانه جعل لكل خير وشر ومفتاحاً وباباً يدخل منه اليه ، كما جعل الشرك والكبر والاعراض عما بعث الله به رسوله ، والغفلة عن ذكره ، والقيام بحقه مفتاحاً للنار ، كما جعل الخمر مفتاح كل إثم ، وجعل الغناء مفتاح الزنا ، وجعل اطلاق النظر في الصور مفتاح العشق والطلب ، وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان ، وجعل المعاصي مفتاح الكفر ، وجعل الكذب مفتاح النفاق ، وجعل الشح والحرص مفتاح البخل ، وقطيعة الرحم ، وأخذ المال من غير

حله ، وجعل الاعراض عما جاء به الرسول ﷺ مفتاح كل بدعة وضلال ، وهذه أمور لا يصدق بها إلا كل من له بصيرة صحيحة ، وعقل يعرف به ما في نفسه ، وما في الوجود من الخير والشر ، فينبغي للعبد أن يعتني كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح ، وماجعلت مفاتيح له ، والله من وراء توفيقه وعدله ، له الملك ، وله الحمد ، وله النعمة والفضل ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

فصل

في منشور الجنة الذي يوقع به لصاحبها .

المنشور : ما كان غير مختوم من كتب السلطان .

هذا ومن يدخل فليس بداخل ... الا بتوقيع من الرحمن

وكذاك يكتب للفتى لدخوله ... من قبل توقيعان مشهوران

إحداهما بعد الممات وعرض أر ... واح العباد به على الديان

فيقول رب العرش جل جلاله ... للكاتبين وهم أولو الديوان

ذا الاسم في الديوان يكتب ذاك ديـ ... ـوان الجنان مجاور المنان

ديوان عليين أصحاب القرا ... ن وسنة المبعوث بالقرآن

فاذا انتهى للجسر يوم الحشر يعـ ... ـطى للدخول اذاً كتاباً ثاني

عنوانه هذا كتاب من عزيـ ... ـز راحم لفلان ابن فلان

فدعوه يدخل جنة المأوى التي ار تفعت ولكن القطوف دواني

هذا وقد كتب اسمه مذكاز في الـــأرحام قبل ولادة الانسان

بل قبل ذلك وهو وقت القبضتيـــن كلاهما للعدل والاحسان

سبحان ذي الجبروت والملكوت والـــاجلال والاكرام والسبحان

والله أكبر عالم الاسرار والـــاعلان واللحظات بالأجفان

والحمد لله السميع لسائر الـــأصوات من سر ومن اعلان

وهو الموحد والمسبح والممجـــد والحميد ومنزل القرآن

والأمر من قبلُ ومن بعدُ له سبحانك اللهم ذا السلطان

قال الله تعالى (كلا ان كتاب الابرار لفي عليين . وما أدراك ما عليون . كتاب مرقوم . يشهده المقربون) المطففين : ١٨-٢١ فأخبر تعالى أن كتابهم كتاب مرقوم ، تحقيقاً لكونه مكتوباً كتابة حقيقـــة ، وخص كتاب الأبرار بأنه يكتب ويوقع لهم به ، بمشهد المقربين من الملائكه والنبيين ، ولم يذكر شهادة هؤلاء كتاب الفجار تنويها بكتاب الأبرار ، وماوقع به لهم واشهاراً له ، واظهاراً بين خواص خلقه ، كما تكتب الملوك تواقيع من تعظمه من بين الامراء وخواص أهل المملكة ، تنويهاً باسم المكتوب ، واشارة بذكره ، وهذا نوع من صلوات الله سبحانه وملائكته على عبده .

وروى أحمد ، وابن حبان ، وابو عوانة في « صحيحيهما » من حديث البراء بن عازب الطويل في شأن القبر مرفوعاً « فيقول الله عزوجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين ، وأعيدوه الى الارض» وقال : «فيقول الله عزوجل

اكتبوا كتابه في سجين في الارض السفلى، وتطرح روحه طرحاً . ورواه ابو داود بطوله ، فهذا التوقيع والمنشور الأول ، وأما المنشور الثاني وهو التوقيع الثاني الذي ذكره الناظم ، فعن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ « لا يدخل الجنة أحد الا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله لفلان بن فلان ، أدخلوه جنة عالية ، قطوفها دانية » رواه الطبراني في « معجمه » وعنه أن النبي ﷺ قال « يعطى المؤمن جوازاً على الصراط : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان ، أدخلوه جنة عالية ، قطوفها دانية » أخرجها الطبراني في « معجمه » .

قوله : هذا وقد كتب اسمه الخ . أي : إن المؤمن وقع في قبضة اصحاب اليمين يوم القبضتين ، ثم كتب من أهل الجنة يوم نفخ الروح فيه ، ثم يكتب في ديوان أهل الجنة يوم موته ، ثم يعطى هذا المنشور يوم القيامة ، والله المستعان . فهذا ما اشتمل عليه هذا الفصل .

فصل

في صفوف أهل الجنة

هذا وان صفوفهم عشرون مع ... مئة وهذي الامة الثلثان

يرويه عنه بريدة اسناده ... شرط الصحيح بمسند الشيباني

وله شواهد من حديث أبي هريرة وابن مسعود وحبر زمان

أعني ابن عباس وفي اسناده ... رجل ضعيف غير ذي إتقان

ولقد أتانا في الصحيح بأنهم شطر وماللفظان مختلفان
اذقال أرجو أن تكونوا شطرهم هذا الرجاء منه للرحمن
أعطاه رب العرش مايرجو وزا د من العطاء فعال ذي الاحسان

في « الصحيحين » عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : أماترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ فكبرنا ، ثم قال : أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ قال : فكبرنا ، ثم قال : اني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، وسأخبركم عن ذلك ، ماالمسلمون في الكفار الا كشعرة بيضاء في ثور أسود ، أو كشعرة سوداء في ثور أبيض » هذا لفظ مسلم . وعن بريدة بن الحصيب قال : قال رسول الله ﷺ « أهل الجنة عشرون ومائة صف ، هذه الأمة منها ثمانون صفاً » رواه أحمد والترمذي ، واسناده على شرط الصحيح . ورواه الطبراني في « معجمه » من حديث ابن عباس ، وفي سنده خالد بن يزيد البجلي ، وقد تكلم فيه . ورواه أيضاً من حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « كيف انتم وربع الجنة لكم ، ولسائر الناس ثلاثة أرباعها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : كيف أنتم وثلثها ؟ قالوا : ذاك أكثر . قال : كيف أنتم والشطر لكم ؟ قالوا : ذاك أكثر . قال : أهل الجنة عشرون ومائة صف ، لكم منها ثمانون صفاً » . قال الطبراني : تفرد به خالد بن زياد . وروى عبد الله بن أحمد عن أبي هريرة قال : لما نزلت (ثلة من الأولين . وثلة من الآخرين) الواقعة : ١٣ ، ١٤ قال رسول الله ﷺ : «أنتم ربع أهل الجنة ، أنتم ثلث أهل الجنة ، أنتم نصف أهل الجنة ، أنتم ثلثا أهل الجنة » قال الطبراني : تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري . وروى خيثمة بن سليمان ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال:

« أهل الجنة عشرون ومائة صف ، أنتم ثمانون صفاً » .

قال الناظم : وهذه الأحاديث قد تعددت طرقها ، واختلفت مخارجها، وصح سند بعضها ، ولا تنافي بينها وبين حديث الشطر ، لأنه ﷺ رجا أولاً أن يكونوا شطر أهل الجنة ، فأعطاه الله ، وزاد عليه سدساً آخر . وروى أحمد عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « أرجو أن يكون من يتبعني من أمتي يوم القيامة ربع أهل الجنة ، فكبرنا ، فقال : أرجو أن يكونوا الشطر » واسناده على شرط مسلم .

فصل

في صفة أول زمرة تدخل الجنة

هذا وأول زمرة فوجوههم ... كالبدر ليل الست بعد ثمان

السابقون هم وقد كانوا هنا ... أيضاً أولي سبق إلى الاحسان

فصل

في صفة الزمرة الثانية

والزمرة الاخرى كأضوء كوكب ... في الافق تنظره به العينان

أمشاطهم ذهب ورشحهم فمسك خالص ياذلة الحرمان

في « الصحيحين » عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون ، ولا يتمخطون فيها ، آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ، ومجامرهم الألوة ، ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان ، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ، ولا تباغض ، قلوبهم على قلب رجل واحد ، يسبحون الله بكرة وعشياً » وفيها أيضاً عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ، لا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يتفلون ، ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألوة ، وأزواجهم الحور العين ، وأخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعاً في السماء » .

فصل

في تفاضل اهل الجنة في الدرجات العلى

ويرى الذين بذيلها من فوقهم مثل الكواكب رؤية بعيان

ماذاك مختصاً برسل الله بل لهمُ وللصدّيق ذي الايمان

في « الصحيحين » عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم ، كما تتراءون الكوكب الدري العابر من الافق من المشرق أو المغرب ، لتفاضل مابينهم ، قالوا : يارسول

الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » ولفظ البخاري « في الافق » وهو أبين . الغابر: هو الذاهب الماضي الذي قد تدلى للغروب . وفي التمثيل به دون الكوكب المسامت للرأس قائدتان ، إحداهما بعده عن العيون ، والثانية أن الجنة درجات ، بعضها أعلى من بعض ، وان لم تسامت العليا السفلى ، كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله ، والله تعالى أعلم .

قال الناظم : في « حادي الأرواح »

فصل

في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم

هذا وأعلاهم فناظر ربه ... في كل يوم وقته الطرفان

لكنّ أدناهم وما فيهم دني ... إذ ليس في الجنات من نقصان

فهو الذي تلقى مسافة ملكه ... بسنينا ألفان كاملتان

فيرى بها أقصاه حقاً مثل رؤ ... يته لأدناه القريب الداني

أو ما سمعت بأن آخر أهلها ... يعطيه رب العرش ذو الغفران

أضعاف دنيانا جميعاً عشر أمـ ... ـثال لها سبحان ذي الاحسان

عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه ، وأزواجه ، ونعيمه ، وخدمه ، وسرره ، مسيرة

ألف سنة ، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشياً ، ثم قرأ رسول الله ﷺ (وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة) القيامة : ٢٢، ٢٣ رواه الترمذي وقال : روي هذا الحديث من غير وجه عن ابن عمر غير مرفوع . ورواه ابن الجبر موقوفاً .

قلت : ورواه الطبراني في « معجمه » مرفوعاً « إن أدنى أهل الجنة منزلة الرجل في ملكه ألفي سنة ، يرى أقصاه كما يرى أدناه ، ينظر إلى أزواجه وسرره، وخدمه ... الحديث » ورواه أبو نعيم أيضاً عنه مرفوعاً .

قوله : أو ماسمعت بأن آخر أهلها الخ . روى مسلم من حديث المغيرة ابن شعبة، عن النبي ﷺ « ان موسى سأل ربه عن أدنى أهل الجنة منزلة فقال : رجل يجيء بعد ما دخل أهـــل الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة فيقول : رب كيف وقـد نزل الناس منازلهم ، وأخذوا أخذاتهم ، فيقال له ! أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيـا ؟ فيقول : رضيت رب فيقول : لك ذلك ومثله ، ومثله ، ومثله ، ومثله . فقال في الخامسة : رضيت رب . قال : رب فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت غرس كرامتهم بيدي ، وختمت عليها ، فلم تر عين ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر »

وفي « الصحيحين » عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها ، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة ، رجل يخرج من النـار حبواً ، فيقول الله تعالى له : اذهب فادخل الجنة ، قـال : فيأتيها فيخيل اليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول الله له : اذهب فادخل الجنـة

قال: فيأتيها فيخيل اليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول : يارب وجدتها ملأى ، فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة ، فان لك مثل الدنيا ، وعشرة أمثالها ، أو أن لك عشرة أمثال الدنيا. قال: فيقول: أتسخر بي ، أو تضحك بي وأنت الملك ؟ قال : رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه . قال : فكان يقال : ذلك أدنى أهل الجنة منزلة .

فصل

في ذكر سن أهل الجنة

هذا وسنهم ثلاث مع ثلا ثين التي هي قوة الشبان
وصغيرهم وكبيرهم في ذا على حد سواء ماسوى الولدان
ولقد روى الخدري أيضاً أنهم أبناء عشر بعدها عشران
وكلاهما في الترمذي وليس ذا بتناقض بل هاهنا أمران
حذف الثلاث ونيف بعد العقـــود وذكر ذلك عندهم سيان
عند اتساع في الكلام فعندما يأتوا بتحرير فبالميزان

قال الناظم : روى أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكحلين ، أبناء ثلاث وثلاثين ، وهم على خلق آدم ستون ذراعاً ، في عرض سبعة أذرع » قيل : تفرد به حماد عن علي بن زيد. وروى الترمذي واستغربه عن معاذ بن جبل ، أن النبي ﷺ قال « يدخل

أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين ، بني ثلاث وثلاثين» . وروى أبو بكر ابن أبي داود ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « يبعث أهل الجنـــة على صورة آدم ، في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة ، جرداً مرداً مكحلين ، ثم يذهب بهم الى شجرة في الجنة ، فيكسون منها ، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم »

قولـــه : ولقد روى الخدري الخ . قال الناظم في « حادي الأرواح » عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير ، يردون بني ثلاثين سنة في الجنة ، لا يزيدون عليها أبداً ، وكذلك أهل النار » رواه الترمذي . قال الناظم : فان كان محفوظاً لم يناقض ماقبله ، فان العرب اذا قدرت بعدد له نيف ، فان لهم طريقين ، تارة يذكرون النيف للتحرز ، وتارة يحذفونه ، وهذا معروف في كلامهم وخطاب غيرهم من الأمم . وروى ابن أبي الدنيا عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك ، على حسن يوسف ، وعلى ميلاد عيسى ، ثلاثاً وثلاثين سنة ، وعلى لسان محمد ، جرداً مرداً مكحلين » وروى ابن وهب عن أبي هريرة أنه قال ﷺ : « إن أهل الجنة يدخلون الجنة على قدر آدم ستون ذراعاً وعلى ذلك قطعت سررهم » وفي «الصحيحين» «أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعاً في السماء » والرواية « على خلق» بفتح الخاء وسكون اللام ، والاخلاق كما تكون جمعاً للخلق بالضم ، فهي جمع للخلق بالفتح ، والمراد تساويهم في الطول والعرض والسن ، وإن تفاوتوا في الحسن والجمال ، ولهذا فسره بقوله : « على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء » وأما أخلاقهم وقلوبهم ، ففي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة « إن أول زمرة

تلج الجنة ... الحديث ، وفيه « لااختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب واحد ، يسبحون الله بكرة وعشياً » .

فصل

في طول قامات أهل الجنة وعرضهم

والطول طول أبيهم ستون لكن عرضهم سبع بلا نقصان
الطول صح بغير شك في الصحـــيحين اللذين هما لنا شمسان
والعرض لم نعرفه في احداهما لكن رواه أحمد الشيباني
هذا ولا يخفى التناسب بين هـــذا العرض والطول البديع الشان
كل على مقدار صاحبه وذا تقدير متقن صنعة الانسان

قد تقدمت الأحاديث في طول أهل الجنة في « الصحيحين » وغيرهما . وأما العرض فهو كما قال الناظم : ليس في « الصحيحين » لكن قد رواه أحمد . قال الناظم : وفي هذا الطول والعرض والسن من الحكمة مالايخفى ، فانه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذة ، لأنه أكمل سن القوة مع عظم آلات اللذة ، وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة وقوتها ، بحيث يصل في اليوم الواحد إلى مائة عذراء ، ولا يخفى التناسب بين هذا الطول والعرض ، وأنه لو زاد أحدهما على الآخر ، فات الاعتدال وتناسب الخلقة ، ويصير طولا مع دقة ، أو غلظاً مع قصر ، وكلاهما غير مناسب ، والله أعلم. انتهى .

فصل

في حلاهم وألوانهم

ألوانهم بيض وليس لهم لحى جعد الشعور مكحلو الأجفان
هذا كمال الحسن في أبشارهم وشعورهم وكذلك العينان

اللحى بضم اللام جمع لحية بكسرها ، وقد تقدمت الأحاديث بذلك ، كالحديث الذي رواه الترمذي عن معاذ بن جبل ، أن النبي ﷺ قال : « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين ، بني ثلاث وثلاثين » وروي عن أبي هريرة مرفوعاً « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكحلين ، أبناء ثلاث وثلاثين ، وهم على خلق آدم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع » .

فصل

في لسان أهل الجنة

ولقد أتى أثر بأن لسانهم بالمنطق العربي خير لسان
لكن في اسناده نظر ففيه راويان وماهما ثبتان

أعني العلاء هو ابن عمرو ثم يحـــيى الأشعري وذان مغموزان

تقدم حديث أنس بن مالك عند ابن ابي الدنيا ، وفيه « يدخل أهل الجنة الجنة على لسان محمد ﷺ » وروي عن ابن عباس قال : لسان أهل الجنة عربي . وكذا قال الزهري .

فصل

في ريح الجنة في مسيرة كم يوجد

والريح يوجد من مسيرة أربعـــين وان تشأ مائة فمرويان
وكذا روي سبعين أيضاً صح هـ ذا كلـه وأتى به أثران
مافي رحالها لنا من مطعن والجمع بين الكل ذو إمكان
ولقد أتى تقديره مائة بخمـــس ضربها من غير ما نقصان
إن صح هذا فهو أيضاً والذي من قبله في غاية الامكان
أما بحسب المدركين لريحها قرباً وبعداً ماهما سيان
أو باختلاف قرارها وعلوها أيضاً وذلك واضح التبيان
أو باختلاف السير أيضاً فهو أنـــواع بقدر إطاقة الانسان
مابين ألفاظ الرسول تناقض بل ذاك في الافهام والاذهان

روى الطبراني عن ابن عمرو عن النبي ﷺ قال « من قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام » ورواه البخاري وقال : «ليوجد من مسيرة أربعين عاماً » وعند الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه « وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً » وصححه . قال محمد بن عبد الواحد المقدسي : واسناده عندي على شرط الصحيح ، وعند الطبراني مرفوعاً « وإن ريح الجنة يوجد من مسيرة عام » وعن أبي بكرة عنده قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ريح الجنة يوجد من مسيرة عام » .

قال الناظم : وهذه الألفاظ لاتعارض فيها . وفي « الصحيحين » من حديث انس في قصة عمه قال : فشهد مع رسول الله ﷺ أحد ، فاستقبل سعد بن معاذ ، فقال له : الجنة ورب الكعبه إني لأجد ريحها من دون أحد . فقال : فقاتلهم حتى قتل .

قال الناظم : وريح الجنة نوعان ، ريح يوجد في الدنيا تشمه الأرواح أحياناً لاتدركه العبارة ، وريح تدرك بحاسة الشم للأبدان ، كما تشم روائح الأزهار وغيرها ، وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قرب وبعد ، وأما في الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله ، وهذا الذي وجده أنس بن النضر ، يجوز أن يكون من هذا القسم ، وأن يكون من الأول . وروى أبو نعيم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « رائحة الجنة توجد من مسيرة خمسمائة عام » وروى الطبراني عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « ريح الجنة يوجد من مسيرة الف ، ولا يجدها عاق ولا قاطع رحم » وروى أبو داود الطيالسي في «مسنده » عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من ادعى إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها